الحلم الثاني

صباح الدين كريدي

إلى الحجر الفلسطيني . . . حجر الدم
والكرامة والحرية

ـ أأنت صباح الدين كريدي
قلت :
ـ بلى
قال الثاني :
ـ هيّا، يطلبك جلالة مولانا السلطان .
في ليل العاشر من نيسان
ليلة عرسي ،
بثياب النوم الزّاهية الألوان ،
كنت كعود يابس
كنت مهبّ رياح عيون السلطان
والحرسِ الواقف خلفه ،
وعيون الوزراء البلّورية
وبريق السيفِ ،
النطعِ ،
الجلاد . .

ذكّرني خوفي الحالي بخوفي يوم النهر
لحظة أنشب تمساح ضخم في ساقي
أنيابه ،
وصغيراً كنتُ
وأبي كان بعيداً عنّي ،
وأنا أصرخ مبتعداً
أتخبَّط فوق وتحت الماء . .

كانت عين التمساح تقول :
لن تدخل ثانيةً أبداً مملكتي المائية . .

كانت عين السلطانِ
كعين التمساح . . ! !

قالَ :
ـ العصفور الأزرق عندي
في هذا القفص الذهبيّ .
لم أتمالك نفسي ، فشهقتُ :
العصفور الأزرق!
تابع : يأكل من كلِّ الثمراتِ
وكل حبوب الأرض . . ،
يرقص ويغني . . !
تـابعت النـظر المتحيِّـر بين السلطان
وعصفوري الأزرق
تابعَ : وفقير أنت كحبِّ القمحِ
كعشبٍ صخري ،
ولقد أخبرني بعض عيون القصر .
أنك تبغي ذبح العصفور الأزرق ،
هذا يعني
إطـلاق رعاع النـاس يعيثون فسـاداً في
الأرض ،
أخذ العرش ، وصلبني
في ساحة قصر العدل ،

أيضاً،
أخذ حريم السلطان جميعاً
وخزائن بيت المال،
نهب جميع الأرزاقِ،
جميع الأنعام. . .،
قتل الوزراء، وقواد الجيش
أخْذَ قصوري، وقصور كبار رجال
الدولة،
وأخيراً
تهديم الدولة، تهديم الدين القائم فيها،
تهديم الكون. . !!

وتوقَّفَ يمسح فمه المزبد بالكُمِّ
الملكيّ!

حزني كان فسيحاً
كصحارى الخوف
خوفي كان مديداً
كصحارى الأحزان. .
ووحيداً كنتُ كنسرٍ
في سكرات الموتْ. . !

قرأ وزير العدل الحكم الصادرَ
«باسم جلالة مولانا السلطان العادل
وباسم الشعب
نصدر حكماً بالموت . . . . . .
. . . . . .
. . . . . »

وبكيت، بكيتُ
بكيت. .

كان السلطان يقهقه جذلاً
وعيون الوزراء تقهقهُ
كان القصر يقهقهُ
ورياش القصرْ
جدران، بلاط القصر يقهقهُ
حتى الجلّاد المتجهّم كان يغالب
ضَحِكَهْ. .
والأرض تدورُ
تقهقه وتدور. . . .

أيقظني صوت الجرس الذهبيّ
وساد الصمت كتابوتٍ ملكيّ.
لوحٌ خشبيٌ، جاءْ. .
حبل لا يبدو آخره، جاءْ
التفَّ الحبل كثعبان حولي
واللوحَ الخشبي،
وخفيفاً تمساحَ النهر بعينه، جاءْ!!

عاد السلطان يقهقهُ
والوزراءُ،
القصرُ
الحرّاسُ. . . إلخ. .

في هذي اللحظة كانت أجهزة الإعلام
تغطّي موتي
تتولى إعدامي أيضاً،
تجعل مني جاسوساً هدَّد أمْنَ الدولة،
وأخيراً ذاق مصير الخونة.
وأنا أُؤكل عضواً عضواً.

ثانية قرع السلطان الجرس النائم بين
يديه
وعاد الصمت.
والفيل وئيداً، جاء
شرب دمائي
مسح الأرض، وصار سمائي
وهوى كالصخرة فوقي. .

فصرخت. .

دمشق